التغلب على الخوف

(مرقس ٤:٣٥-٥:٢٠)

تأليف: جو شوبيرت

كيف نواجه الخوف؟ يظهر حدثين في هذا النص من الكتاب المقدس يجب ان يساعدانا على مواجهة مشكلة الخوف. هذين الحدثين هما بالحقيقة معجزتين.

١. التغلب على العواصف حولنا (مرقس ٤:٣٥-٤١)

يبدأ الحدث الأول في إنجيل مرقس ٤:٣٥:

> وقال لهم في ذلك اليوم، «لنجتز إلى العبر». فصرفوا الجمع وأخذوه كما كان في السفينة. وكانت معه أيضاً سفن أخرى صغيرة. فحدث نوء ريح عظيم فكانت الأمواج تضرب إلى السفينة حتى صارت تمتلىء. وكان هو في المؤخر على وسادة نائماً. فأيقظوه وقالو له، «يا معلم أما يهمك أننا نهلك؟» فقام وانتهر الريح وقال للبحر «اسكت، ابكم.» فسكنت الريح وصارت هدوء عظيم. وقال لهم، «ما بالكم خائفين هكذا؟ كيف لا إيمان لكم؟ فخافوا خوفا عظيما، وقالوا بعضهم لبعض من هو هذا؟ فإن الريح أيضا والبحر يطيعانه!» (مرقس ٤:٣٥-٤١).

وقع هذا الحدث عندما كان يسوع منهكا جسدياً. أتى في نهاية يوم تعليم مكثف، يخدم ويشفي. كان يسوع منهكاً؛ فدخل السفينة وقال لتلاميذه، «لنذهب إلى الإتجاه المقابل للبحيرة، لننفرد من الناس.»

عندما يقول مرقس البشير انهم اخذوه معهم، «كما كان هو في السفينة» انه يوضح ان يسوع لم يخطط هذه الرحلة. انه ذهب كما كان. لم يقم باي اعداد لهذه الرحلة المعنية.

ويضيف مرقس البشير أيضاً ما يلي: «وكانت معه أيضا سفن أخرى صغيرة.» هذا التفصيل الدقيق أضيف فقط من قبل مرقس البشير، هذا مثير للعجب . انه يخبرنا بانه كان هناك أناس آخرون إلى جانب تلاميذ يسوع، شهدوا هذه المعجزة العظيمة لسكون العاصفة. يخبرنا أيضاً كيف أتت هذه العاصفة فجأة وبغير توقع. إن كان الجو ينذربالخطر، لما خاطر يسوع وتلاميذه ولا الذين في السفن الأخرى بعبور البحر.

يقول مرقس البشير في الآية ٣٧: «فحدث نوء ريح عظيم فكانت الأمواج تضرب إلى السفينة حتى صارت تمتليء.» جمعت كل الصفات الحية للرواية لكتابة هذه القصة. هناك عاصفة هوجاء قد أتت فجأة على البحر. هذا ما زال يحدث اليوم في بحر الجليل. في ذلك الهيجان وفي تلك التضاريس الجبلية يمكن للريح ان تشتد عندما تمر من بين تلك الجبال وتجتاح ذلك البحر الصغير، وتخلق عاصفة هائلة في خلال بضع دقائق فقط.

عندما خرج اولئك التلاميذ في هدوء المساء ليعبروا البحر إلى الضفة الشرقية، فاجأتهم مثل هذه العاصفة. في خلال بضع دقائق كان البحر مزبد والأمواج تضرب السفينة. وكانت السفينة معرضة للغرق. يسميها مرقس البشير، «نوء ريح عظيم.» عاصفة هوجاء شكلت خطورة مفاجئة للسفينة الصغيرة.

اما يسوع، كما يقول مرقس البشير، كان نائما في مؤخرة السفينة. تفصيل إنساني دونه

فقط مرقس البشير، الذي يجعل إنسانية يسوع حقيقة لنا مرة أخرى. ولكن أيقظه التلاميذ بقسوة وأخذوه لعمل شاق لأهماله الواضح لسلامتهم {كما ظنوا} أيقظوه وسألوه: «يا معلم أما يهمك أننا نهلك؟» هذا السؤال مليء بالإنتقاد والضجر. يكشف مرقس إنسانية يسوع الحقيقية أولاً، منهكاً ونائماً في السفينة. ثم ثانياً يكشف إنسانية التلاميذ الحقيقية، وهم يتكلمون بقسوة.

يقول مرقس البشير بان الرب قام وانتهر الريح دون ان يفوه بكلمة للتلاميذ، انتهر الريح والأمواج. لا أدرى ما توقعه التلاميذ من يسوع ان يفعله. ربما ظنوا بانه سيقوم ويساعد بالمجداف ليهديء {حركة} السفينة. ولكننا نعلم بان الحيرة أخذتهم لما فعله. قام يسوع وانتهر الريح والبحر. قال للريح، «اسكت.» وقال للأمواج: «ابكم.» وللوقت ساد سكون عظيم! هذا أرعب التلاميذ. كان هناك هدوء تام ومفاجيء على طول مسافة خمس أميال إلى عبر الشاطيء الشرقي وعلى طول المسافة الممتدة إلى الجبال على الضفة الشمالية الشرقية. لاحظ التلاميذ بانه قد حدث هدوءا غير طبيعي.

الكلمات التي استخدمها يسوع في الأصحاح الرابع من إنجيل مرقس لينتهر الريح والأمواج، هي مشابهة للكلمات التي استخدمها في الأصحاح الأول من الإنجيل نفسه لينتهر الرجل الذي به روح نجس. لقد قال في كل من الحدثين «اسكت {اخرس}» و «ابكم». هذا مثير للعجب لما قد يشير إليه. قد يشير هذا إلى انه سكن روح شرير رجل في الأصحاح الأول من إنجيل مرقس، فهكذا كانت العاصفة في بحر الجليل نتيجة لعمل الشياطين في عالم الطبيعة. تكلم بولس الرسول عن قوات أرواح شريرة في رسالته إلى أهل أفسس ١٢:٦ التي لابد للمسيحي ان يواجهها. إذ قال: «فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء، مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر؛ مع أجناد الشر الروحية في السماويات.» ربما كان يسوع ينتهر أجناد الشر الروحية في السماويات عندما هدأت العاصفة.

حالما حل السكون، وبخ يسوع التلاميذ؛ إذ قال: «مابالكم خائفين هكذا...؟» أليس ذلك سؤلاً غريباً يسأل به أناس كانوا في خطر فقدان حياتهم قبل وقت وجيز؟ لماذا لم يخافوا؟

وضع يسوع اصبعه على السبب نفسه، لماذا نخاف نحن. قال: «كيف انه لا ايمان لكم؟» كانوا قد فقدوا الإيمان. الإيمان هو الحل للخوف. هذا هو الدرس الأول من هذا الحدث. الإيمان هو دائماً حل للخوف، بغض النظر عن السبب في الخوف. من الواضح انهم تناسوا الحقائق التي علمهم إياها يسوع في تلك الموعظة على الجبل. ايمان في ما هو حسن وعناية الله تبدد خوفنا. ايمان بانه يحبنا وهو قادر ان يعمل في وسطنا ويبدد خوفنا. لم يزل هناك درساً آخر في هذه القصة، درس قد يكون ضعف الإيمان هو مدخل إلى تخيل أعظم. بعد ان انتهر يسوع التلاميذ بسبب قلة الإيمان، يضيف مرقس البشير في الآية ٤١ ما يلي: «فخافوا خوفاً عظيماً وقالوا بعضهم لبعض من هو هذا؟ فإن الريح أيضاً والبحر يطيعانه!» هكذا من ضعف إيمانهم أتت لمحة من هوية يسوع التي ملأتهم بالرعب. سألوا بعضهم البعض: «من هو هذا؟ فإن الريح أيضاً والبحر يطيعانه!» قضوا معه حتى الآن بضع أسابيع، ومع ذلك لم يفهموا تماماً من هو. رغم ان التلاميذ فشلوا في امتحان ايمانهم، فان ضعفهم فتح الباب إلى تعبير جديد للإيمان الذي لم يأتي بعد.

قصد يسوع من هذه المناسبة ان يتسائل عن هويته مرة أخرى. يبقى السؤال. «من هو هذا؟» هذا سؤال يجب على كل واحد ان يواجهه.

٢. تغلب على الشر في داخلنا (مرقس ١:٥-٢٠)

الحدث الثاني يعلمنا الكثير عن الفشل نتيجة الخوف. نقرأ الآيات من ١ إلى ١٣ هكذا:

> وجاءوا إلى عبر البحر إلى كورة الجدريين. ولما خرج من السفينة للوقت استقبله من القبور إنسان به روح نجس. كان مسكنه في القبور ولم يقدر أحد أن يربطه ولا بسلاسل؛

لأنه قد ربط كثيراً بقيود وسلاسل فقطع السلاسل وكسر القيود فلم يقدر أحد أن يذلله. وكان دائماً ليلاً ونهارا في الجبال وفي القبور يصيح ويجرح نفسه بالحجارة. فلما رأى يسوع من بعيد ركض وسجد له، وصرخ بصوت عظيم وقال «مالي ولك يا يسوع ابن الله العلي. أستحلفك بالله أن لا تعذبني.» لأنه قال له، «أخرج من الإنسان يا أيها الروح النجس.» وسأله، «ما اسمك؟» فأجاب قائلاً، «اسمي لجئون لأننا كثيرون.» وطلب إليه كثير أن لا يرسلهم إلى خارج الكورة. وكان هناك عند الجبال قطيع كثير من الخنازير يرعى. فطلب إليه كل الشياطين قائلين، «أرسلنا إلى الخنازير.» فأذن لهم يسوع للوقت. فخرجت الأرواح النجسة ودخلت في الخنازير. فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحر. وكان نحو ألفين فاختنق في البحر.

لو كان هناك قصة مفعمة بالحيوية ومخيفة بنفس الوقت في الكتاب المقدس هي هذه القصة. فكر في الساعة في ذلك اليوم عندما حدث هذا. كان الوقت متأخرا من المساء أو الليل، اما عند الأصيل أو بعد حلول الظلام. هذا يجعل القصة أكثر رعبا. قد اخبرنا (مرقس ٣٥:٤) بان الوقت كان المساء عندما عبر يسوع وأصحابه إلى المقاطعة التي فيها تلك البحيرة. عبروا البحيرة، وفي اثناء ذلك صادفوا العاصفة التي تكلمنا عنها قبل قليل. انهم وصلوا إلى اليابسة في الجانب الشرقي للبحيرة، على بعد نحو خمس أميال من حيث بدءوا الرحلة. وقع هذا الحدث طبقاً لما ورد في (مرقس ٢:٥)، حالاً بعد ان خرج يسوع من السفينة. في الأمسية نفسها.

كانوا في جانب البحيرة القسم الذي به كهوف كثيرة في الجرف الصخري من صخور الحجر الجيري التي تطل على بحر الجليل يوجد في هذه الكهوف العديد من القبور لدفن الموتى، وفي أحسن الأحوال تكون هذه الأماكن مخيفة. ولكنها تكون مرعبة في الليل بالفعل. ومن هذه القبور خرج رجلا به روح نجس، كان هذا المكان محفوفا بالمخاطر وكانت تلك الساعة أيضا وكان على يسوع وتلاميذه مواجهة هذا الرجل الخطر والعنيف.

وردت القصة بمثل هذا التفصيل الذي يوضح العديد من شخصية وطبيعة من به روح نجس. ربما كانت الحقيقة الواضحة عن تملك الأرواح الشريرة في القرن الأول هي أنها تقود الذين بهم الروح لحياة غريبة جدا. لاحظ على سبيل المثال ما نعرفه عن هذا الإنسان، عاش بين القبور، وهذا يدل على انه رذل من قبل المجتمع فكان عليه ان يعيش كطريد مجتمع. الحقيقة الواضحة بان يديه ورجليه ربطتا في وقت سابق بقيود وسلاسل توضح الخلاصة بان المجتمع العادي قد رفضه وكان يربط بسلاسل في الكهوف. كان الشيطان قادراً ان يمده بقوة فوق الطبيعية. وبهذه الوسيلة استطاع الإنسان المسكين الذي يسكنه روح نجس ان يقطع السلاسل. والحقيقة القائلة بانه يجول ويصيح قد تدل على انه كان طريد المجتمع. ان يكون شخص حول الناس يصيح وتكون الحياة سائرة كما هي تدل على سبب آخر عن رفض المجتمع له. قيل لنا بان هذا الأنسان الذي يتلبسه يمارس الأنفصام الشخصي. يقول مرقس البشير بانه يجرح نفسه بالحجارة.

لقد كان إنسانا مزعجا بفظاعة، لم يعرف شيئا عن حقائق الحياة. ازداد من هذا الشغب أقصى درجات الشدة عند معرفته حقيقة يسوع. سأل بصراحة السؤال الذي جاء بالآية ٧ «ما لي ولك يا يسوع ابن الله العليّ؟» واحدة من الصفات العادية للمسكون بالروح النجس هي ان أولئك الشياطين عرفوا من كان يسوع حتى حينما لم يعرفه الذين من حوله. ربما هذا ما يعنيه يعقوب كاتب الرسالة في (يع ١٩:٢) عندما تكلم عن الشياطين الذين يؤمنون ويقشعرون.

طريقة كلامه توضح كيف كان مسكوناً، استخدم احياناً صيغة المفرد كما لو كان يتكلم هو بنفسه، وفي بعض الأحيان استخدم صيغة الجمع كما لو كان جموع الشياطين الذين كانوا به هم المتكلمون، وعندما سئل عن اسمه أجاب في الآية ٩ قائلاً: «اسمي لجئون لأننا كثيرون.» كان لجئون اسم يطلق على الفيالق العسكرية الرومانية التي تتكون من حوالي

ست ألاف جندي. من دون شك ان هذا المسكون المسكين قد رأى مراراً فيالق رومانية تسير مسيرة عسكرية على الطريق العمومي. عندما نظر إلى حالته، وصل إلى خلاصة بانه فيلق شياطين بكامله، به لجئون كامل من الشياطين.

كان هناك حقاً من يسكنهم روح نجس في زمان العهد الجديد؛ فلا تجهل هذه الحقيقة. يميل المتخصصون بدراسة الكتاب المقدس في أيامنا هذه إلى تساوي بين من يسكنهم روح نجس في القرن الأول وبشتى أنواع الأمراض العقلية او اعتلالات جسدية. ولكن يوجد فرق واضح، حتى في الأناجيل، بين المرض العقلي والجسدي من ناحية ومن به روح نجس من ناحية أخرى. أدرك الكُتاب الموحي إليهم بان هاتين الحالتين غير متساويتين. بالإضافة إلى ذلك عرف أولئك الشياطين يسوع، وكان يسوع قادرا ان يتحدث معهم،اي اننا نتعامل مع حالة هي اكثر من مرض عقلي أو جسدي.

بناءاً على ما ورد في رسالة يوحنا الأولى ٣:٨، كان قصد يسوع لمجيئه إلى الأرض هو ان ينقض أعمال إبليس. وكان عمل المعجزة بطرد يسوع للشياطين خطوة هامة نحو تحقيق ذلك الهدف. بترت قوة الشيطان في العالم بسبب نصر يسوع على الشيطان في عمله التبشيري وخاصة عند قيامته من القبر. يعتقد عادة في اوساط المؤمنين بالتقاليد القديمة للكتاب المقدس بان الروح النجس الذي كان في الناس في القرن الأول، لم يعد حقيقة على الأرض اليوم.

ولكن الأسفار المقدسة تتحدث عن زمن تطرد فيه الشياطين من الأرض. في سجل متى البشير الموازي لهذا الشفاء، انه سَجَلَ كلام الشياطين ليسوع في إنجيله (متى ٢٩:٨) « ما لنا ولك يا يسوع ابن الله! أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا؟ » الشياطين انفسهم أدركوا بان هناك وقت معين سيطردهم فيه من الأرض، عندما يعذبون، كما تقول بعض الترجمات.

مع علمه بهوية يسوع، علم هذا الرجل المسكون أيضاً بقوة يسوع المتفوقة على الشياطين الذين به. انه أدرك ان يسوع يمكن ان يأمرهم باي شيء فيكون له مايريد. يقول السجل في الآية ١٣ « فأذن لهم يسوع للوقت. فخرجت الأرواح النجسة ودخلت في الخنازير. فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحر. وكان نحو ألفين؛ فاختنق في البحر. »

موت هذه الخنازيريبدو غريباً. وهذه قصة فريدة من نوعها. ولكن من الظاهر، كان موت هذه الخنازير شهادة كبرى لهذا الرجل المسكون بان الأرواح النجسة التي كانت به قد خرجت الآن ومضت، قد غرقت وماتت. و صار سالماً مرة أخرى. ماذا كان رد فعل الناس لهذا الاعلان الواضح للقوة فوق الطبعية؟ صدق أو لا تصدق، كان رد الفعل هنا مثل رد فعل التلاميذ عند سكون العاصفة – خوف. يدون مرقس البشير ما يلي:

> وأما رعاة الخنازير، فهربوا وأخبروا في المدينة وفي الضياع. فخرجوا ليروا ما جرى. وجاءوا إلى يسوع فنظروا المجنون الذي كان فيه « اللجئون » جالساً ولابساً وعاقلاً؛ فخافوا. فحدثهم الذين رأوا كيف جرى للمجنون وعن الخنازير. فابتدأوا يطلبون إليه أن يمضي من تخومهم (الآيات ١٤–١٧).

ربما يظن أحد بان رد الفعل الطبيعي من جانب الناس لكل ما جرى في هذه المناسبة كان سرورا عظيما وفرح. ولكن لم يكن كذلك. بل كان على العكس تماماً – كان خوفا. قد يظن أحد بان أولئك الناس يتوسلون إلى هذا الإنسان بمثل هذه القدرات فوق الطبيعية ان يبقى في تخومهم ليمارس المزيد من قوته لمصلحتهم. ولكنهم لم يفعلوا كذلك؛ بل طلبوا إليه ان يمضي. لماذا؟ تم شفاء الرجل ولكن قد أهلكت الخنازير! من الواضح انهم لم يرغبوا في مزيد من الهلاك. كان أولئك الناس قلقون ومنزعجون بسبب ما فقدوه، لذا طلبوا من يسوع ان يمضي. قد اضطربت طريقة حياتهم اليومية ويريدون ان يستأصلوا هذا العامل المسبب للإضطراب بأسرع وقت ممكن. الصيحة الواحدة للعقل البشري هي، « أرجو ان لا تزعجني! » يريد الناس ان يُتركوا وشأنهم.

الجزء المحزن من هذه القصة كلها هي ان يسوع أطاع طلبهم. ترك تخومهم كما طلبوا منه ان يفعل تماماً. احزن شيء قد يحدث إلينا في بعض الأوقات هو ان يعطينا الله ما طلبناه. قيل عن إسرائيل في المزمور المئة والسادس والآية ١٥ ما يلي « فأعطاهم سؤلهم وأرسل هزالاً في أنفسهم. » يستحق أهل هذه المنطقة ان يتركوا لوحدهم من قبل هذا الإنسان المخيف والخارق للطبيعة. كان ذلك قضائهم الذي أطاعه الرب عندما خرج من أرضهم.

هناك إختلاف كبير بين النواحي الإخلاقية لسكان هذه المنطقة والنواحي الإخلاقية للرجل الذي شفي؛ لاحظ الفرق:

> ولما دخل السفينة طلب إليه الذي كان مجنوناً أن يكون معه. فلم يدعه يسوع بل قال له: « اذهب إلى بيتك وإلى أهلك وأخبرهم كم صنع الرب بك ورحمك. فمضى وابتدأ ينادي في العشر المدن كم صنع به يسوع. فتعجب الجميع » (الآيات ١٨-٢٠).

توسل أهل المنطقة إلى يسوع أن يمضي فأطاع طلبهم. وتوسل الرجل الذي كان مجنونا وشفي إلى يسوع ان يسمح له بمرافقته ولكنه رفض طلبه.

قال له: « اذهب إلى بيتك وإلى أهلك وأخبرهم كم صنع الرب بك ورحمك. » هذا يتضارب تماماً لما قاله يسوع للأبرص ان يفعل في الأصحاح الأول من إنجيل مرقس. عندما ننظر إلى ذلك الحدث، نتعجب لماذا قال له يسوع ان لا يكلم احداً عن شفاءه! ولكنه التفت إلى هذا المجنون الذي شفي وقال له العكس تماماً. ما الفرق ؟ الظن المعقول هو ان يسوع كان يترك الكورة ليعود مرة واحدة فقط فيما بعد. فترك ذلك المجنون الذي شفي ورائه ليضمن بانه سيكون هناك متحدث رسمي للحقيقة في تلك المنطقة.

الخلاصة

ما هي أهمية هذين الحدثين في حياتنا؟ الرسالة الأساسية من هاتين القصتين هي ان يسوع هو رب. يسوع هو المتحكم. يمكنه ان يتحكم على القوات المخفية فينا، سواء كانت أرواح تسكن في أناس في القرن الأول أو عادات وخطايا في هذا القرن الذي نعيش فيه. يمكنه ان يتحكم أيضاً في القوات المخفية حولنا يقول يوحنا الرسول في رسالته الأولى (١ يو ٤:٤) « ...الذي فيكم أعظم من الذي في العالم. » بتلك الثقة يمكن للمسيحي ان يواجه اي شيء ينتجه هذا العالم، لأن الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح (٢ تيموثاوس ١:١٧). يمكن للمسيح ان يقويك لتعيش بفعالية في مواجه كل حواجز هذه الحياة. يسوع هو رب والنصر أكيد للذين يقدمون أنفسهم له بكل نية صالحة.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧